صراع القيم في أدب القاصة الإسرائيلية سفيون ليبركت

قصة ميونخ انموذجا

ا.م.د فكري جواد م.م عمار محمد حطاب

جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة جامعة ميسان/ كلية التربية الاساسية

المقدمة:

اهتم الادب العبري الحديث بكل المواضيع التي تشكل قضايا تهم القاري العبري سواء كانت هذه القضايا سياسية او اقتصادية او اجتماعية او غيرها. وكانت القصة واحدة من الفنون الأدبية التي استطاعت ان تستحوذ على اهتمام القاري لأنها تمكنت من ان تسلط الضوء على كل ما يجول في خاطره وكل ما يعتري مشاعره من قضايا تمكنت من معالجتها بشكل فاعل. وبرز في ميدان القصة العبرية الكثير من الكتاب الذين استطاعوا ان ينتجوا اعمالا أدبية مهمة خرجوا فيها من بوتقة الكاتب المحلي الى دائرة الكاتب العالمي الذي تقرا نتاجاتها الأدبية في مختلف دول العالم وبأكثر من لغة.

لقد تمكنت القاصة الإسرائيلية سفيون ليبركت من ان تكون واحدة من هؤلاء الادباء الذين نجحوا في الوصول الى المستوى العالمي، ونجحت هذه الكاتبة في ان تكون من الأصوات النسائية المسموعة بل عدت صوت للمرأة في (إسرائيل) فقد اهتمت بقضايا المرأة بالكثير من اعمالها الأدبية.

وتطرح الاديبة سفيون ليبركت نفسها ككاتبة تستطيع ان تتوغل في أعماق الشخصيات وان تفهم ما يختلج هذه الشخصيات من مشاعر وما يقودها من نزعات او من غرائز تحاول أحيانا كبحها او إطلاق العنان لها في أحيان اخرى.

ان بحثنا هذا يحاول ان يدرس صراع القيم عند ابطال قصة ميونخ للكاتبة سفيون ليبركت ويحاول الإجابة على عدة تساؤلات منها: هل استطاعت الكاتبة ان تنفذ بنجاح الى داخل الجانب النفسي والوجداني لهذه الشخصيات وهؤلاء الابطال؟ وهل استطاعت ان تختزل الصراع الذي استمر لعقود من خلال رؤية الابطال لأحداث هذه القصة؟ وهل تمكنت من توظف صراع القيم والمبادئ توظيفا يخدم مهمة الكاتب الاصيلة في

نشر قيم الخير والفضيلة، ام ان نوازع النفس البشرية التي تدعوا للانتقام والثأر قد قادت القاصة الى اتجاه اخر؟

يقوم هذا البحث على تحليل سير نمو الشخصيات، ومسار احداث قصة ميونخ ضمن المجموعة القصصية مكان جيد للمبيت للإجابة على التساؤلات المشار اليها انفا، واستعان البحث ببعض اراء النقاد في ميدان القصة العبرية الحديثة لينتهي بجملة من الاستنتاجات المهمة التي سنوردها في نهاية بحثنا هذا.

السيرة الذاتية لسفيون ليبركت Savyon Libercht

هي سفينا باسمها الرسمي، قاصة ومسرحية إسرائيلية ولدت في العام ١٩٤٨ في مدينة ميونخ في المانيا، هاجرت من المانيا الى (إسرائيل) في عام ١٩٥٠ مع والديها اللذين كانا ممن أنقذا من المحرقة النازية لليهود قبل واثناء الحرب العالمية الثانية. سكنت هذه العائلة في بتسديكن ثم بيتيم في (إسرائيل).

درست سفيون ليبركت الادب والفلسفة في لندن ثم في تل ابيب بعدها عملت كصحفية في جريدة (أنتِ). وعلى الرغم من كون سفيون ليبركت قد مارست العمل الادبي بكل تفاصيله فكتبت الرواية والمسرحية إلا أنها قد عرفت بشكل كبير بكتابتها للقصة القصيرة وأهم النتاجات الأدبية لسفيون ليبركت نذكر الاتي:

١. تفاح من الصحراء ١٩٨٦
٢. خيول على طريق كها ١٩٨٨
٣. هل أتكلم معك بالصيني ١٩٩٢
٤. ضروري ان تكون نهاية لقصة حب ١٩٩٥
٥. رجل وامرأة ورجل ١٩٩٨
٦. نساء من الكتالوج ٢٠٠٠
٧. مكان جيد للمبيت ٢٠٠٢
٨. نساء ابي ٢٠٠٥
٩. فهم الحب ٢٠٠٨
١٠. ام قلنتينا ٢٠٠٨
١١. روحلت متزوجة ٢٠١٠
١٢. وجوه لضوء النهار ٢٠١٥

ورغم ان سيفون ليبركت لم تكن القاصة الأولى في (إسرائيل) الا انه كان لها موضع جيد ضمن قائمة الاديبات المتمكنات من صناعة أدب لاقى اعجاب شريحة كبيرة من القراء ولاسيما القارئات لأن الكثير من اعمالها الأدبية قد عالجت موضوع المرأة ومكانتها في المجتمع وما تعانيه من مشاكل ضمن محيطها[١]. كما

امتازت اعمالها بنكهة قومية لم تتمكن من التحرر منها والادب القومي او السياسي هو الادب البارز في إسرائيل كونه يمثل وسيلة لوعي الجمهور او لتوعيتهم وتوجيههم كما هو الحال في اغلب الآداب السياسية في العالم التي يميل الكاتب فيها الى تبني أيديولوجيا معينة يوظفها من اجل خدمة مشروع قومي او سياسي يؤمن به ويحاول ان يفرضها على جمهوره من القراء[٢].

كما نالت الاعمال الأدبية لسفيون ليبركت اهتمام النقاد ورضاهم ولهذا فقد حصدت اثناء مسيراتها الأدبية العديد من الجوائز المحلية والعالمية والتي اخرجتها من كونها ادبية محلية الى ادبية عالمية تقرا كتاباتها المترجمة في عدة بلدان. ومن اهم الجوائز التي حصلت عليها سفيون ليبركت نذكر الاتي:

١. جائزة الترمان في عام ١٩٨٧ عن مجموعتها القصصية تفاح من الصحراء.
٢. جائزة التلفزة في عام ١٩٩٠ عن المسلسل التلفزيوني كيدونيم واور كيلاتوت.
٣. جائزة اكوم في عام ١٩٩٠
٤. جائزة رئيس الحكومة في عام ١٩٩١ وفي عام ١٩٩٩
٥. جائزة المسرح في الأعوام ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٦
٦. جائزة المسرح عام ٢٠٠٩ عن مسرحية (فهم الحب)
٧. جائزة اميليا روزلي عام ٢٠٠٢ عن (نساء من الكتالوج).
٨. جائزة فيجو في فرنسا عام ٢٠٠٣ عن (نساء من الكتالوج)

المجموعة القصصية مكان جيد للمبيت:

سنناقش في هذا البحث موضوع صراع القيم لدى القاصة سفيون ليبركت وسنختار من جملة اعمالها هذه المجموعة القصصية (مكان جيد للمبيت) لتكون هي منطقة الاشتغال في تحليلنا لمفردات هذا الموضوع، وستكون قصة (ميونخ) هي الأساس في تحليلنا كونها تشكل عينة من اعمالها، وهذه القصة فيها الكثير من ملامح سيرتها الذاتية.

صدرت هذه المجموعة القصصية عن دار (كتر) للنشر في القدس عام ٢٠٠٢ بـ ٢٦٠ صفحة من الحجم المتوسط. وتضم سبع قصص تتناول في مجملها أساس العلاقة بين الانسان ككيان مليء بالمشاعر والأحاسيس مع المكان الذي ينتمي اليه أو يشعر بالانتماء له أو المكان الذي يعيش فيه. فيمثل المكان في هذه المجموعة النقطة المركزية التي يتمحور حولها صراع الشخصيات فيما بينها، وكذلك صراع القيم والمبادئ داخل مكونات الشخصية الواحدة. عناوين القصص في هذه المجموعة القصصية مستوحات من أسماء الأماكن التي تدور الأحداث فيها.

لذلك فإن كل قصة من هذه القصص لا يمكن أن تدور أحداثها إلا في المكان الذي تحمل اسمه، فالقصة هنا لا تتجرد من المكان بل تلتصق به وتتداخل معه ليكونا كتلة واحدة وما الشخصيات فيها الا أدوات للتعبير عن المكان الذي احتوى مضمون احداث القصة.

أما من ناحية الزمان فإن الاحداث الرئيسة لكل هذه القصص هو زمن حديث قد يكون الربع الأخير من القرن العشرين، وعلى الرغم من ان هذه القصص لا ترتبط زمنياً بالحرب العالمية الثانية إلا أن هذه الحرب تترك أثرها في أحداث كل قصة فيها. ولعل هذا الامر يعود الى كون ان قاصتنا هي نتاج الحرب العالمية الثانية فهي ولدت اثنائها، كما ان أبناء قومها عانوا خلالها من الحكم النازي، كما ان الدولة التي تنتمي اليها وهي (إسرائيل) هي أيضا من نتاجات تلك الحرب.

ولابد أن نرى ذكريات الحرب فيها، لذلك يحس القارئ بالكآبة ويشعر بألم في وجدان ابطال هذه القصص لأنهم رغم البعد الزماني وربما المكاني عن خنادق الحرب العالمية الثانية إلا أن ألم الذكريات أخذ مأخذه في نفوس شخصيات وابطال هذه المجموعة القصصية. وهذا من انعكاسات التأثير القومي والسياسي في النفس اليهودية التي لم تستطع ان تتحرر منه ابدا فظل هذا الشعور هو هاجسها دائما وبغض النظر عن الخلفية الثقافية او الاجتماعية فالشعور القومي هو الأول وبقية المشاعر والانتماءات تأتي بعده بمراحل[٣].

ولابد من الإشارة الى ان هذه المجموعة القصصية تضم سبع قصص هي:

١. أمريكا
٢. قبوص
٣. هيروشيما
٤. تل ابيب
٥. ميونخ
٦. اورشليم
٧. مكان جيد للمبيت

وهنا قد تمكنت القاصة سفيون ليبركت من ان تنجز عملاً أدبياً طيباً كانت لغته سلسة وحوارات ابطال القصص محبوكة بشكل جيد مالت الاديبة الى استخدام الجمل القصيرة للتحاور بين الشخصيات. وقد امتازت هذه الشخصيات بصراع كبير في قيمها وتتنازعها عدة عوامل متناقضة.

وقد كشفت ليبركت للقارئ أن المكان الذي نعتقد احياناً أنه هو الذي يمنحنا الدفء والسعادة والامان قد يكون هو نفسه منتجا لأحداث الحزن والألم، فلا يمكن فصل المكان عن الزمان لارتباطهما معا ولتأثرهما ببعضهما بشكل كبير.

لقد حاولت الاديبة أن تبحث في هذه القصص المكانية عن البيئة المثالية والمجتمع المثالي وأرادت أن تستقصي عن العلاقة المباشرة او غير المباشرة بين الماضي وبين آثاره في الحاضر من خلال الصراع في المنظومة القيمية لأبطاله. ولإجادة الأديبة سفيون ليبركت في كتابة هذا العمل القصصي فقد نالت عليه العديد من الجوائز أهمها:

١. جائزة املفي في إيطاليا عام ٢٠٠٥
٢. جائزة فيجو في فرنسا عام ٢٠٠٩[٤]

قصة ميونخ:

يجد القارئ في هذه القصة كسائر قصص هذه المجموعة القصصية ذكريات وانعكاسات من أحداث الحرب العالمية الثانية، ويشعر بصورة واضحة بالألم والحسرة عند ابطال هذه القصة هذا الألم الذي يصل أحيانا الى ان ندرك انهم يعيشون حالة من الضياع او التيه.

من الأمور المهمة في قصة ميونخ هو أن القاصة سفيون ليبركت كتبت وتحدثت بصيغة المذكر فالبطل هو رجل ويشكل هذا تحدي كبير لكل قاصة أن تكتب وتفكر بذهنية رجل ولكن تمكنت سفيون في هذه القصة من أن تجتاز هذا التحدي بنجاح كبير حيث كانت لها القدرة على طرح أفكار الرجال بلسانهم دونما تكلف أو تصنع يفقد القصة سلاستها ومدى صدقيتها.

كما تعد قصة ميونخ من قصص السيرة الذاتية الى درجة كبيرة حيث ان القاصة تكتب عن مدينة ميونخ التي هي مسقط رأسها في ألمانيا. كما ان القصة تدور حول الفكر النازي والقاصة هي من عائلة عانت ويلات الحرب العالمية الثانية تحت حكم المانيا النازية.

وقد يتبادر الى الأذهان سؤال وهو لماذا ميونخ بالتحديد؟ وقد أجابت القاصة عن هذا التساؤل في ثنايا القصة ذاتها، وذلك عندما تحدث بطل القصة مع الشخص الفلسطيني الذي خسر أبناء عائلته في هجوم النازيين الجدد على المطعم الذي يملكه في هذه المدينة: " لماذا من دون كل الأماكن في العالم ميونخ بالتحديد؟ لماذا لم تتعلموا من تاريخنا؟ هذا مكان فضيع. هنا كبش فداء الماضي وكبش فداء المستقبل وكبش فداء الحاضر يتبادلون الأدوار كسلسلة موت قاسية"[٥] وأجابت في موضع آخر " في ميونخ نشأ هتلر وفي ميونخ كان الصدام الأول بين اليهود والفلسطينيين خارج (إسرائيل) في الأولمبياد"[٦]

لقد عالجت الاديبة سيفون ليبركت عدة مواضيع في هذه القصة فتمكنت من مناقشة مواضيع شكلت جزءً من الذاكرة الجمعية لليهود في العصر الحديث منها الانتفاضة، المحرقة، معادات السامية في اوروبا وبغض الأجانب[٧].

الشخصيات الرئيسة في القصة:

١. ارنون: صحفي اسرائيلي.
٢. سليمة منصور: فتاة فلسطينية ذات التسعة عشر عاماً تعمل في مطعم بيت الشرق في ميونخ.
٣. أبو سنان: مدير مطعم بيت الشرق وهو ابن عم سليمة منصور.
٤. ارنست فيندورف: ضابط نازي
٥. سولمون مولر: الماني.
٦. كَيلا: زوجة الصحفي الإسرائيلي

وعلى الرغم من تعدد ابطال هذه القصة إلا أن الشخصيات الرئيسة والفاعلة فيها هما الشخصيتان الأولى والثانية فقط (ارنون وسليمة منصور).

مضمون القصة:

تصف هذه القصة رحلة الصحفي الإسرائيلي (ارنون) الذي فقد بعض من أبناء عائلته خلال الهولوكوست اليهودي في الحرب العالمية الثانية على يد النظام النازي في المانيا حينذاك. تمثلت مهمة هذا الصحفي بتغطية وقائع محاكمة الضابط النازي (ارنست فيندورف) الذي ألقي القبض عليه في الارجنتين وجلب إلى المانيا لمحاكمته. تعرف هذا الصحفي في ميونخ على عائلة فلسطينية هي عائلة منصور وكانت هذه العائلة تدير مطعماً في المدينة وتمت تصفية بعض من افراد هذه العائلة على يد مجموعة من النازيين الجدد الذين هاجموا هذا المطعم في أحد الأيام. في نهاية القصة يعود الصحفي والذي هو بطل القصة إلى إسرائيل بعد أن عانى من صراع داخلي بين قيم الثأر والحرب والدعوة الى العيش في عالم يسوده السلام والتسامح.

تتضمن هذه القصة لمحة اجتماعية ايضاً حيث هناك حيز منها للسرد في طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت بين ابطال القصة. كما ان القضية الأساسية في القصة هي الصراع بين القيم والصراع بين الرغبات المتنازعة لضحايا الحروب سواء كانوا في المانيا او في فلسطين او من أبناء من عانى من هذه الحروب وويلاتها، وكيفية انتقال معاني الثأر والانتقام من جيل الى اخر.

الصراع بين القيم في قصة ميونخ:

احتوت قصة ميونخ على جملة من الصراعات الداخلية لأبطالها، حيث غالباً ما أرادت هذه الشخصيات أن يفتكوا ببعضهم البعض نتيجة لإرث دامي توارثوه اجيالاً ولم يكن لهم فيه يد، فهم لم يصنعوا تاريخهم بل

ورثوه ممن صنعه. والجديد بالذكر ان اغلب شخصيات القصة تمكنت من أن تكبح جماح غريزة الثأر والانتقام ليحل محلها الغفران والتسامح.

وقد توزع الصراع على جبهات فتارة نقمة البطل إزاء الالمان الذين ظلموا أبناء جلدته وتسببوا في قتل عائلته ابان الحرب العالمية الثانية وتارة أخرى نقمة ودافع للانتقام من الفلسطينيين اللذين يرتبط معهم بصراع تاريخي طويل، فتوزعت احقاد بطل القصة على عدة جهات، وكان للألمان حصة منها حيث صب غضبه عليهم في اكثر من موضع وحاول التشفي بهم وبنسائهم فحاول بطل القصة ان يظهر مدى رغبته فيهن ليس من باب الجمال بل من باب الانتقام فحتى في أحلام البطل يكمن الثار والانتقام فعند دراسة النص الاتي وتحليله نلاحظ هذا الشيء بوضوح كبير:"רוב הלילות אני חולם על נשים, אף פעם אחת לא על גליה, הנשים בחלומותי גרמניות בהירות שיער, שכפול נאמן של הנשים יפות הרגליים מן הכיכר. בחלומותי אין רומנטיקה, אין ליטופים, אין ערגה, אין משחקים מקדימים ואין בזבוז זמן. הן תמיד במיטה, מוכנות, שוכבות על גבן או כורעות על ארבע, עירומות או לובשות לבנים עדינים כקורי עכביש, ואני בא אליהן וחודר לתוכן ומזיין אותן בשליטה מלאה, תחושה שלא חדשה לגמרי, חדשה רק התוקפנות שבה אני הולם בהן פנימה והחוצה, ...ובשעת מעשה אני מודע לכך שיותר משהוא מעשה אהבה הוא מסע נקמה. אני חודר לתוכן באלימות, מרוקן את סערת הרגשות המתהפכות בי מחימה שפוכה להתפעלות, והן צועקות באוזני משפטים המוכרים לי מסרטים כחולים בגרמנית- انا احلم في اغلب الليالي. ولكن ولامرة واحدة على كليا، النساء في احلامي المانيات شقراوات الشعر...الثقة المضاعفة بالنساء جميلات السيقان اللواتي في الساحة. لا رومانسية في احلامي، لا ملاطفة، لا لهفة، لا توجد لعبة حب ولا يوجد تضييع للوقت. هن دائما في الفراش، مستعدات، نائمات على ظهورهن او منحنيات على الأربع، عراة او لابسات ابيض رقيق برقة بيت العنكبوت، وانا اتي اليهن والج لداخلهن واضاجعهن بسيطرة تامة، إحساس ليس بالجديد ابدا، الجديد هو فقط الهجوم الذي به انا اضربهن من الداخل والخارج،... وفي وقت العمل انا مدرك انه سيزداد عمل الحب او عمل الثأر. انا الج الى داخلهن بقسوة لإفراغ عاصفة الاحاسيس المتقلبة بي من الغيض المسكوب الى الانبهار، وهن يصرخن باذني جمل المانية معروفة لي من الأفلام القديمة"[٨]

لم يكتفي بطل القصة بالانتقام من المانيا من خلال نسائهم، الثأر من خلال الحلم مادام يستطيع ان يحقق انتقامه وثاره، بل امتد ثأره الى النيل من محامية ارنست فيندورف التي تدافع عن الضابط النازي في محاكمته الجارية في مدينة ميونخ الألمانية، وهذا تحقق عندما قال:" "פעם אחת זניתי תחתי את עורכת הדין של ארנסט וינדורף והתעוררתי בבעתה... حلمت في احدى المرات انني زنيت بمحامية ارنست فيندورف واستيقظت مذعورا"[٩].

ان الصراع في قصة ميونخ لليبركت لا يقتصر على العلاقة الجنسية الانتقامية بين البطل وبين الالمانيات التي تسبب ابائهن او ربما اجدادهن في مقتل ابائه او اجداده، بل امتد الصراع ليكون داخليا في هواجس نفسه رابطا إياه من خلال العلاقة بين الانسان وظروف الزمان والمكان، ويظهر هذا في سياق ادراك البطل انه لا يرتبط بزمن واحد وانما بعدة ازمنة الانسان وحده يمثل العامل المشترك فيها وذلك عندما يقول""כמעט כל מראה שעיני רואות מתחבר לעבר ולהווה ולעתיד בהקשרים מעוררי פליאה וחשש והרהור... تقريبا كل منظر تقع عيني عليه يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل بروابط ويثير في نفسي الدهشة والخوف والتفكر"[١٠]. لهذا لم ينفصل بطل القصة الذي عانت عائلته من ويلات الاضطهاد في أيام الهولوكوست من مخاوف تلك الحقبة رغم ان الفاصل الزمني بين الحقبتين الهولوكوست والمحاكمة الجارية في وقت احداث هذه القصة تزيد على النصف قرن. هذا الشعور جسدته الكاتبة بأسلوب ساخر يكشف ما في نفس البطل من هواجس عندما كان يصف لنا جلسته في قاعة محكمة الضابط النازي:"יום יום בעשר בבוקר אני מתייצב בבית המשפט בנימפנבורגשטראסה، תופס את מקומי בשורה האחרונה، ליד החלון כי שאם הגסטפו ייכנס פתאום יהיה קל לברוח... في كل يوم الساعة العاشرة صباحا اجلس في محكمة نيمفنبورك شتراسه، اشغل مقعد في الصف الأخير قرب النافذة من اجل ن يسهل الهرب علي اذا دخلت الكوستافو فجاة"[١١] فمازال بطل القصة يعيش في عالم شرطة المانيا السرية التي تبحث عن اليهود في كل مكان من اجل احراقهم.

لهذا كان للمحرقة مساحة جيدة من اهتمام الكاتبة ليبركت اتي كان ابيها واب زوجها من ضحاياها في اربعينيات القرن الماضي، فجعلت احداث هذه القصة تدور حول نقطة مركزية تمثلت بمحاكمة ضابط نازي اتهم باشتراكه بقتل اليهود خلال حقبة الهولوكوست. لذا كان بطل القصة الصحفي الإسرائيلي هو ممثلا عن كاتبة القصة التي جعلته هو لسانها الذي تنازع فيه ذلك الضابط، فقد اتهمه الصحفي بانه هو من قتل أبناء عائلته في معسكر شتوتهوف في بولندا ونجد هذا في الاقتباس الاتي: "אני מוצא את עצמי בשערי שטוטהוף אלף תשע מאות ארבעים ושלוש. אבי בן עשרים ותשע אז. את הוריו ואת אחותו בת השתים עשרה ואת דודו האהוב ראה נורים לנגד עיניו מרובהו של חייל גרמני שנתקף בולמוס רצח או תחושת שעמום. על סבתו מצד אמו، סבו מצד אביו، גיסתו ההרה، שתי דודותיו ושלושת בני אחיו הקטנים סופר לו שנורו לתוך בור שהוכרחו לכרות במו ידיהם. אשתו היתה חולה כשהופרדו וילדתם בת השנתיים בזרועותיה. ימים אחדים לפני כן סיכם עם מכר פולני שימצא להן מקום מסתור אצל אחותו בכפר. אולי הספיק הפולני לחלצן לפני שהועלו על המשאיות. בינתיים גורר אותו גורלו לשטוטהוף וארנסט ויינדורף ממתין לו שם עם מגלבו.. لقد وجدت نفسي في أبواب شتوتهوف في العام الف وتسعمائة وثلاث واربعون. كان ابي في التاسعة والعشرين من العمر حينذاك. رأى والديه واخته ذات الثانية عشرة من العمر وعمه المحبوب مرمين بالرصاص امام عينيه من بندقية جندي الماني انتابته رغبة في القتل او نوبة

كأبة. اما جدته من جهة امه، جده من جهة ابيه، نسيبته الحامل، عمتيه وأبناء اخوته الثلاث الصغار فقد أخبر انهم القوا في حفرة كانوا قد اجبروا مسبقا على حفرها بأيديهم. كانت زوجته حامل عندا تفارقوا وكانت تحمل بين ذراعيها ابنتهما ذات السنتين. وكان قبل عدة أيام فقط قد اتفق مع احد معارفهم من البولنديين في ان يجد لهم مكانا سريا عند اخته في القرية. لكن ربما امتنع البولندي عن انقاذهن قبل ان يركبوهن في الشاحنات. وفي تلك الاثناء قاده قدره لشتوتهوف وكان بانتظاره ارنست فييندورف مع سوطه"[١٢]

لهذا نرى بوضوح ان الكاتبة بقيت أسيرة ذكرياتها وذكريات اسلافها عما حدث لهم ابان الحكم النازي وخلال الحرب العالمية الثانية، وكانت هذه الذكريات هي جزء غير قابل للانفصام من الذاكرة الجمعية والوعي المشترك لكل اليهود في اوربا[١٣].

وبقي في قناعات الاديبة الإسرائيلية سفيون ليبركت ان العدالة لن تقوم وان الانصاف لن يتحقق وقد نقلت قناعتها هذه الى شخصيات هذه القصة وازالت النقاب عنها في هذا الحوار بين الصحفي وبين سولمون مولر:

" -אז למה הם מנהלים את המשפט הזה? אני בודק אותו בכל זאת.

- כי הצדק צריך להיראות. הגרמנים בכלל לא רצו את המשפט הזה אבל לא היתה להם ברירה.
- מה זאת אומרת לא היתה להם ברירה?
- הם הרי לא ממש תפסו אותו ובטח לא חיפשו אותו. הוא פשוט התייצב יום אחד בשגרירות גרמניה בארגנטינה והסגיר את עצמו. הם התעלמו ממנו איזה זמן, לא היה להם שום עניין בו וגם לא במשפט הזה، אבל הוא פנה אל התקשורת בארגנטינה והגרמנים נאלצו להביא אותו לכאן ולקיים את המשפט.
- لماذا إذا هم يعقدون هذه المحاكمة؟ انا اتفحصه في كل هذا.
- لكي يتحقق العدل. لا يرغب الالمان في هذه المحاكمة ابدا لكن لا خيار لهم.
- ما الذي تقوله لا خيار لهم؟
- من الواضح انهم لم يمسكوا إياه وقطعا لم يبحثوا عنه. هو بكل بساطة ظهر في السفارة الألمانية في الارجنتين وسلم نفسه. لقد تجاهلوه مدة كبيرة من الزمن، لم يكن لهم أي شان به ولا بهذه المحاكمة، لكنه اتجه الى الاتصال بالأرجنتين فاضطر الالمان لجلبه الى هنا وإقامة هذه المحاكمة"[١٤]

والقاصة هنا لا تؤمن بعدالة خصمها او أبناء خصومها او احفادهم حتى وان تبنوا قيما مختلفة وانتهجوا نهجا مغايرا لأسلافهم، فالألمان حسب وجهة نظر بطل القصة لم يحركوا ساكنا في القاء

القبض على هذا النازي لهذا فهم يسعون بشكل غير مباشر الى عدم حسم الأمور والى جر محاكمته الى ما لانهاية.

ولكن القاصة سفيون ليبركت من جهة أخرى تدخل في تناقض في الاحاسيس إزاء ذات الجهة التي تعاديها وهم الالمان حيث هناك منهم من يساعد اليهود في إسرائيل إذا ما تعرضوا للإصابة على يد الفلسطينيين فالعدو ربما يتحول الى صديق، وهذا يشكل صراع بين القيم في ذات الشخصية التي تحاول ان تتجرد من ارث يدعوا الى الأحقاد وواقع ابتعد عن الأحقاد واقترب كثيرا من التسامح والمحبة او على الأقل الاحترام:

"בית המלון השייך לישראלי לשעבר שעל השער שלו עוד אפשר לראות בבירור את צלב הקרס האחרון שצויר עליו, יושב עיתונאי ישראלי שבא במיוחד לתעד את משפטו של קצין נאצי ורואה בטלוויזיה מתנדב גרמני בבית חולים בירושלים שאליו מובאים יהודים שנפצעו"[١٥]... فندق الإسرائيلي السابق الذي مازلنا نشاهد بوضوح على بوابته صور الصليب المعقوف المرسوم مؤخرا، وفي هذا الفندق يقطن صحفي إسرائيلي ليشهد محاكمة الضابط النازي والذي شاهد في التلفزيون متبرع الماني في مستشفى في القدس الذي يأتي اليه يهود مصابون" فهذا الشاب الألماني يحاول انقاذ المصابين من اليهود، ليعطي مثالا ان الأجيال تتغير وان الصراع القديم قد زال واختفى.

وتخرج القاصة سفيون ليبركت من الصراع الداخلي كونها المانية وكونها عدوة للالمان الذين قتلوا عائلتها ابان الحرب العالمية الثانية لتدخل بصراع جديد مع عدو قديم جديد وهو الصراع بين اليهود وبين الفلسطينيين، فهي غالبا تنظر الى الفلسطيني كعدو يسعى الى قتل أي إسرائيلي يلتقي به يوما من الأيام ونظرتها لهذا الموضوع تكشف عنها في احداث القصة عندما قالت:" ערבי אחד הצליח להגיע במכוניתו הפרטית לתוך תל אביב ליד מחנה מטכ"ל כדי להרוג חיילים שמשרתים שם ובאמצע הצומת יצא מהמכונית והתחיל לירות לכל עבר באם- 16"[١٦] احد العرب نجح في الوصول بشاحنته الخاصة الى داخل تل ابيب بالقرب من قيادة الأركان العامة من اجل ان يقتل الجنود الذين يخدمون هناك وفي منتصف مفترق الطرق خرج من الشاحنة وبدا برمي كل مار من هناك بسلاح الام ١٦" لكن هذا كان تصورها العام للفلسطينيين بيد انها ترى ان هناك منهم من هو ضحية أيضا، ونكشف عن هذا في رؤية بطل القصة لعائلة أبو سنان الفلسطيني الذي يملك مطعما في مدينة ميونخ. فهذه العائلة الفلسطينية دفعت الثمن مرتين الأولى عندما غادرت فلسطين هربا من الحرب ومن الصراع مع اليهود ومرة أخرى عندما استقرت في المانية وبدئت معاناتها مع النازيين الجدد الذين يرفضون كل غريب في مجتمعهم ويلحقون به الأذى، وتورد كاتبة القصة بعض التفاصيل عما عانته هذه العائلة الفلسطينية التي يبدوا انها شكلت جزء من صراع داخلي عن

مكنونات مشاعرها اتجاه الفلسطينيين هل هي مشاعر العداء كونهم أعداء تقليديين؟ ام مشاعر التعاطف كون الطرفين القاصة والعائلة الفلسطينية ضحايا التعصب والعنصرية النازية القديمة والجديدة؟ ولنورد هذا النص الذي يكشف جزء من صراع القيم لدى القاصة في قصتها هذه:"סלאח מנסור، נולד בירושלים בשנת 1946. גם משפחת אמו מירושלים. בשנת 1948، בעקבות המלחמה שפרצה מיד עם ההכרזה על מדינת ישראל، נמלטה המשפחה לעזה ומצאה מקלט אצל קרובי משפחה. רוב בני המשפחה מתגוררים עד היום במחנה הפליטים ג'באליה שברצועת עזה. לאחר שישראל כבשה את הרצועה בשנת 1967 עבד בישראל שלוש שנים ובכסף שחסך נסע לגרמניה ללמוד. הוא למד טכנאות מזון ועבד עשר שנים במפעל לייצור אטריות בהמבורג. בשנת 1972 נשא לאישה בת מהגרים תורכים ונולדו חמישה ילדים, שלושה בנים ושתי בנות. בשנת 1990 עברה המשפחה להתגורר במינכן והאב ואחיו שהגיע מג'באליה פתחו את המסעדה. הבת שנהרגה, סלימה בת התשע עשרה, עבדה במסעדה כקופאית"[١٧]... صلاح منصور، ولد في القدس عام ١٩٦٤. وكانت عائلة امه مقدسية أيضا. في عام ١٩٤٨ وفي اعقاب الحرب التي اندلعت حالما اعلن عن قيام دولة إسرائيل، هربت العائلة الى مدينة غزة ووجدت هناك ملاذا عند احد أقارب العائلة. اغلب أبناء العائلة مازالوا يقيمون الى يومنا هذا في مخيم جباليا في قطاع غزة. وبعد ان احتلت إسرائيل القطاع في عام ١٩٦٧ عمل في إسرائيل ثلاثة أعوام وبما جنى من أموال سافر للدراسة في المانيا. هو درس تقنية الطعام وعمل عشر سنين في معمل لصناعة المعكرونة في هامبورك. في عام ١٩٧٢ تزوج من مهاجرة تركية وأنجب خمسة أبناء، ثلاثة أولاد وبنتين اثنتين. انتقلت العائلة عام ١٩٩٠ للسكن في ميونخ وافتتح الاب واخاه الذي وصل من جباليا هذا المطعم. البنت التي قتلت سليمة ذات التسعة عشر عاما عملت كمحاسبة في المطعم"

فهذه العائلة التي عانى ربها العديد من الويلات نتيجة الحروب والصراعات وكافح طويلا من اجل ان يؤسس عائلة مكافحة في عالم مسالم لا صراع فيه، عانت من جديد من ظلم من أطراف أخرى، فتعرضت للاعتداء من قبل مجموعة من النازيين الجدد الذين هاجموا مطعمهم وقتلوا بعض افراد هذه العائلة، الامر الذي جعل القاصة تبتعد كثيرا عن التموضع في موضع العدو لهذه العائلة الى موضع أقرب الى العطف عليهم والتآزر معهم في نكبتهم هذه وتصف هذا في الاتي:

"היום אחרי חצות ריסס אחד החלונות הקדמיים של המסעדה 'אוריינט האוס' שליד תחנת הרכבת המרכזית של מינכן, גרמניה, וניפץ חלון אחר, את האזעקה אתה שומע... נראה שהרקע למעשה גזעני שכן המסעדה מנוהלת על ידי ערבים, כנראה מוסלמים. באזור הכיכר מרובות כתובות הניאו- נאציות נגד תושבים זרים. מספר רב של ניאו- נאצים הגיע למינכן לאחרונה בעקבות בקשה שהוגשה לבית המשפט לאפשר עריכת עצרת לזכור המנהיג הנאצי רודולף הס שהיה סגנו של היטלר."[١٨]... اليوم بعد

منتصف النهار حطم أحد الشبابيك الامامية لمطعم "بيت الشرق" بالقرب من المحطة المركزية لميونخ، في المانيا وحطم شباك اخر. انت تسمع جرس الإنذار... يبدو ان الأساس عنصري لان المطعم يدار من قبل عرب، يبدو مسلمين. في محيط هذه الساحة كثرت شعارات النازية الجديدة ضد السكان الأجانب. عدد كبير من النازيون الجدد وصل الى ميونخ في المدة الأخيرة بعد ان قدم طلب الى المحكمة لتنظيم تظاهرة لاستذكار الزعيم النازي رودولف هس الذي كان نائبا لهتلر." وقد تعاطفت القاصة مع العائلة الفلسطينية صاحبت المطعم لما تعانيه من التهديدات العنصرية للنازيين الجدد وقد يكون هذا التعاطف لان الطرفين اليهود والفلسطينيون أصبحوا مستهدفين من هذه الفئة حيث ان اليهود في ميونخ تعرضوا لتهديدات جدية من النازيين أيضا وهذا ما نصت عليه القاصة عندما قالت:

"מול המסעדה ממוקם בית מלון השייך לישראלי לשעבר ואזרחים ישראלים מרבים לשהות בו. פקיד המלון מדווח על איומים בטלפון וכתובות וצלבי קרס המופיעים מדי כמה ימים על שער המלון."[١٩]... مقابل المطعم أقيم فندق يملكه إسرائيلي سابق ويقصده العديد من المواطنين الإسرائيليين للإقامة فيه. مدير الفندق قد ابلغ عن تهديدات تلفونية وكتابات وصلبان معقوفة ظهرت قبل أيام في مدخل الفندق."

وتدخل القاصة في صراع اخر وهو صراع داخل شخصية الضابط النازي وكشف اغوار نفسه، فتتساءل القاصة سفيون ليبركت على لسان بطل القصة الصحفي الإسرائيلي عن سبب تسليم هذا الضابط نفسه الى السلطات، هل كانت صحو ضمير متأخرة؟ ام ان ضحاياه أرهقوه بملاحقته في منامه؟ ام كونه بشر يتحلى ببعض المشاعر التي لابد ان تتغلب عليه في نهاية الامر وتجعله يندم ويتأسف ويطلب المغفرة عما اقترفت يداه؟ ولكن الإجابة اختلفت ولم تكن متوقعة. فهو يبقى شخص قد امتهن الاضطهاد والقتل، وهذا يتضح في الحوار الاتي:

"למה הוא עשה את זה? כי זה הסיכוי היחיד שלו לקבל טיפול רפואי. בשום בית חולים בארגנטינה הוא לא יקבל את הטיפול שהוא יקבל כאן, הכסף נגמר לו והמשפט הזה הוא הפתרון שלו לסוף חייו. מה אתה חושב שהם יעשו עם חולה פרקינסון בן שמונים וארבע? יכניסו אותו לצינוק? הם יתנו לו חדר יפה, שלוש ארוחות ביום וטיפול רפואי חינם. מה, לא שמת לב שהתובע לא מתאמץ יותר מדי?"[٢٠]...لماذا هو فعل هذا؟ لان هذا هو السبب الوحيد للحصول على رعاية طبية. لأنه لن يحصل في المستشفى الارجنتيني على ما يحصل عليه من رعاية هنا، أنفق ماله فكانت هذه المحاكمة هي الحل المناسب لنهاية حياته. ماذا تتوقع ان يصنعوا مع مريض باركينسون ذو الرابعة والثمانين من العمر؟ يدخلونه الى زنزانة؟

سيمنحونه غرفة جميلة، ثلاث وجبات باليوم ورعاية طبية مجانية. الم تنتبه الى ان المدعي العام غير متحمس بالمرة؟" إذا هي تجعل من هذا الضابط النازي مثالا على استمرار الانحراف في النفس البشرية التي تتبنى الشر كمنهاج لها ولا تجعل للفضيلة موضع فيها ابدا.

القاصة تحس بالتعاطف الكبير مع الفلسطينيين الذين مازالوا يعانون من ويلات الحرب وتستعرض عرضا لحرب غزة الأخيرة وتبدي استيائها مما لحق الأبرياء من ماسيها فتقول:

"אנחנו מפציצים את עזה בטילים، שני אחים פלשתינים בגיל גן ילדים ודודתם הצעירה נהרגו، בדרך לחבורון נורתה אש על מכונית ואישה יהודייה בהיריון בחודש התשיעי נהרגה לעיני שתי בנותיה"[٢١]... نحن نفجر غزة بالصواريخ، أخوين اثنين فلسطينيين في سن الروضة قتلا مع معلمتهما الشابة، في الطريق الى الخليل أطلق الرصاص على سيارة وسيدة يهودية حامل في الشهر التاسع قتلت امام انظار بناتها." الحرب تستمر والضحايا من الطرفين كنتيجة مباشرة لهذه الحرب او نتيجة الانتقام بسبب وقوعها. لهذه يحس بطل القصة بالمرارة من هذه الصراعات ويشعر بالاسى والتعاطف مع ضحاياها بغض النظر باي جانب هم يقفون فالمشاعر الإنسانية تفوقت على مشاعر الانتقام والعداء هنا، والصراع بين القيم صب في خدمة الخير دون الشر.

القمة في مشاعر القاصة التي طرحتها من خلال بطل قصة ميونخ تمثلت في نهاية القصة حينما لم تجد ان تنهي قصتها الا بالوداع بين بطل القصة الإسرائيلي وصاحب المطعم الفلسطيني عندما اخذ يردد الصحفي الإسرائيلي كلمة (الوداع) باللغة العربية وليس بلغته الام اللغة العبرية كتبيان عن مدى التعاطف مع صاحب المطعم الفلسطيني وعن امنياته بان يحل السلام على الجميع على غزة وعلى اورشليم، وحتى على الضابط النازي وعلى المحكمة وعلى ميونخ أيضا، في مشهد يمثل ذروة التصالح مع الاخرين ومع الذات مشهد مليء بالسلم والتسامح وهذا نجده في النص الاتي:

"שלום، אני עונה לו בעברית، מלווה את המילה בהנפת יד، מוסיף בלשונו "סלאם" וצועד לעבר תיק הנסיעות המחכה לי על שפת המדרכה. סלאם...

סלאם צלב קרס לבן שעוד מעט יוסר מעל לשער בית מלון، סלאם עזה וירושלים...

סלאם בית משפט גרמני، סלאם גשם אוגוסט، סלאם ארנסט ויינדורף، סלאם פרקינסון، סלאם סלימה מנסור המתוקה، סלאם מינכן"[٢٢]...شالوم، انا اجبته باللغة العبرية، وضمنت هذه الكلمة بإشارة يد، مضيفا بلغته "سلام" واخطو باتجاه حقيبة السفر التي تنتظرني على حافة السلم. سلام...

سلام أيها الصليب المعقوف الأبيض الذي سيزال قريبا من على بوابة الفندق، سلام غزة واورشليم...

سلام ايتها المحكمة الألمانية، سلام يا مطر اب، سلام ارنست فيندورف، سلام فركينسون، سلام يا سليمة منصور الجميلة، سلام ميونخ" ومن هذا المشهد الأخير لقصة ميونخ يستنتج القاري ويرى بوضوح ان

القاصة غلبت مشاعر السلام والمحبة على مشاعر الحرب والكراهية وانتحت منحى طيبا في قضية الصراع بين القيم، لتجعل النصرة لقيم الفضيلة دائما، وتهمش مشاعر الانتقام وتعلن تغلبها عليها.

الاستنتاجات:

بعد هذه الاطلالة على ادب القاصة سفيون ليبركت مستخدمين قصة ميونخ من مجموعتها القصصية مكان جيد للمبيت موضعا لدراستنا هذا في قضية الصراع بين قيم الانتقام والتسامح وبين قيم الفضيلة والشر نصل الى جملة من الاستنتاجات نوردها في الاتي:

١. تعد الاديبة سفيون ليبركت واحدة من القاصات المتميزات في إسرائيل حاليا، كتبت في العديد من الفنون الأدبية وتميزت بكاتباتها في ميدان القصة القصيرة.

٢. استطاعت الاديبة سفيون ليبركت ان تخترق حاجز المحلية لتنطلق للعالمية من خلال إنجازها اعمال أدبية لاقت اعجاب القراء والنقاد على حد سواء، الامر الذي نتج عنه حصولها على جوائز عالمية أسهمت بتعريف القاري الأوربي بادبها الذي وصله عن طريق ترجمته الى اكثر من لغة.

٣. لقد حاولت الاديبة أن تبحث في مجموعتها القصصية (كان جيد للمبيت) عن البيئة المثالية والمجتمع المثالي وأرادت أن تستقصي عن العلاقة المباشرة او غير المباشرة بين الماضي وبين آثاره في الحاضر من خلال الصراع في المنظومة القيمية لأبطاله. وجعلت من المكان هو المركز الذي تدور حوله معطيات الزمان ومشاعر الشخصيات. ولإجادة الأديبة سفيون ليبركت في كتابة هذا العمل القصصي فقد نالت عليه العديد من الجوائز مثل جائزة املفي في إيطاليا عام ٢٠٠٥، جائزة فيجو في فرنسا عام ٢٠٠٩

٤. مثلت قصة ميونخ ضمن المجموعة القصصي مكان جيد للمبيت بيئة مناسبة لطرح قضية الصراع بين القيم من قبل الكاتبة التي عمدت الى خلق شخصيات متناقضة ومتصارعة فيما بينها، ومتوحدة مع بعضها في صراع الاخر. الامر الذي افرز حالة مركبة في احاسيس ابطال القصة، وجعل القاري ينتقل من مشاعر الانتقام الى مشاعر التسامح وبالعكس في ذات القصة ومع ذات الشخصيات.

٥. كون الصراع بين الرغبة في الانتقام والرغبة بالغفران الأساس الذي قامت عليه هذه القصة واستطاعت بنجاح من ان تعلن القاصة سفيون ليبركت ان قيمة السلام هي الأساس وهي المبدأ الذي ينبغي ان يتبناه الجميع لكي يتخلصوا من ارث الكراهية ينبغي ان لا ينتقل الى الأجيال القادمة وان يحل السلام كقيمة عليا وسامية محله بشكل نهائي.

الهوامش والاحالات:

[1] . Hannan Hever, Producing The Modern Hebrew Canon, New York 2002, P, 102

٢. שרלוט ורדי، ההשמדה בראי הבדייה הספרותית، מודס ביאליק ירושלים، 2001، עמ' 29؛ מיכאל קרן، ספרות פוליטית במאה העשרים،ירושלים 1999، עמ' 60

٣. ארנסט רנאן، על לאומיות וזהות، רסלימג תל אביב 2009، עמ' 77

[4] מוריה בן ברק, הספר "מקום טוב ללילה" של ליברכט זכה בפרס ויצ'ו באתר nrg5 ،/9/2009 .

[5] סביון ליברכט, מקום טוב ללילה، כתר ירושלים 2002، עמ' 200 .

[6] האתר: .
http://www.galiwords.com/Show Chosen.asp?DynamicContentlD=60007

[7] טל מור، ש"מקום טוב ללילה" של סביון ליברכט הוא ספר מעניין למרות שהוא לא מצליח להגיד הרבה، אתר: .
http://e.walla.co.il/item/274447

8188 -187 סביון ליברכט، מקום טוב ללילה، עמ' .

9שם .

10183 שם، עמ' .

11184 שם، עמ' .

12186 -185 שם، עמ' .

[١٣] דיצה ואן קמפן، מוטיבים ביצירת סביון ליברכט، ירושלים، 2013، עמ'11 .

[14] שם، עמ' 192 .

15183 שם، עמ' .

[16] שם، עמ' 187 .

[17] שם، עמ' 197 .

[18] שם، עמ' 195 .

[19] שם، עמ' 195 .

[20] שם، עמ' 192 .

[21] שם، עמ' 198 .

[22] שם، עמ' 201 .

المصادر:

١. Hannan Hever, Producing The Modern Hebrew Canon, New York 2002

٢. שרלוט ורדי، ההשמדה בראי הבדייה הספרותית، מודס ביאליק ירושלים، 2001،

פוליטית במאה העשרים،ירושלים 1999 ٣.מיכאל קרן، ספרות

٤. ארנסט רנאן، על לאומיות וזהות، רסלימג תל אביב 2009

٥. מוריה בן ברק، הספר "מקום טוב ללילה" של ליברכט זכה בפרס ויצ'ו באתר nrg5 ،/9/2009

٦. סביון ליברכט، מקום טוב ללילה، כתר ירושלים 2002

٧. האתר:
http://www.galiwords.com/Show Chosen.asp?DynamicContentlD=60007

٨. טל מור، ש"מקום טוב ללילה" של סביון ליברכט הוא ספר מעניין למרות שהוא לא מצליח להגיד הרבה، אתר:
http://e.walla.co.il/item/274447

٩. דיצה ואן קמפן، מוטיבים ביצירת סביון ליברכט، ירושלים، ٢٠١٣